مجلة جامعة الملك سعود، م٢٣، الآداب (١)، ص ص ١-١٨، الرياض (١٤٣٢/٢٠١١هـ)

الرواية العربية الأنجلوفونية: صراع الهوية والخطاب

محمد عبدالرزاق عبدالغفار

أستاذ مساعد، الأدب المقارن والأدب العربي الحديث، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية،
كلية الآداب، جامعة البحرين

(قدم للنشر في ١٤٣١/٣/١٥هـ؛ وقبل للنشر في ١٤٣١/٦/٢٢هـ)

ملخص البحث. تتناول هذه الدراسة الرواية العربيّة التي كتبها باللّغة الإنجليزيّة روائيون عرب وعرب من أصول مختلطة. فتقف على إشكاليّة خطابها الذي تشكّل في الثقافة الغربيّة، وعلى كيفية إقصائها من النقد الغربي ودراسات ما بعد الاستعمارية على حد سواء؛ على الرغم من أنها ترتبط ارتباطا وثيقا، كما أرى، بكتابات الأقليات الأخرى التي تعيش في الغرب. كما أنّها تُحلل بعض ملامح ذلك الخطاب والوضعيّات الهجينة والمعقدة لهؤلاء الروائيين. وتتلمّس تخوم الهويات التي يمثّلها استنادا إلى الخصوصيات الإثنيّة والثقافيّة المعقدة لوضعيّاتهم، فتقترح تحديدا لماهيته فيما يتصل بوضعيّاتهم يتجاوز مستوى اللغة إلى المستويات الثقافيّة. ثمّ تستكنه كيفيّة تعلّق ذلك الخطاب بالثقافة العربيّة والتراث العربي؛ فتقترح أيضا منظورا خاصا يساعد على تصور ذلك، وتُحلل بعض النماذج الروائية لبيان ما تذهب إليه، للمصري وجيه غالي، والأمريكيّة الجزائريّة كلير مسعود، واليمني الزنجباري عبد الرزاق غورنه.

١ - إشكاليّة خطاب الرواية العربية الأنجلوفونية

منذ صدور دراسة إدوارد سعيد عن الاستشراق في عام ١٩٧٨ تراكمت دراسات ما بعد الاستعمارية بشكل كبير.[١] فقد دار جزء منها حول الأدب العربي ؛[٢] لكنّها لم تتناول الرواية التي كتبها باللغة الانجليزية مؤلفون عرب خلّص، أو عرب ذوو أصول مختلطة. وعلى الرغم من الظهور اللافت لهذه الرواية، في السنوات الأخيرة في العالم الغربي، فإن الاختيارات الأدبية لم تقدم نماذج لها، ولم تتصد لها دوائر المعارف الخاصة بالنقد الأدبي واتجاه ما بعد الاستعمارية ؛ بينما انكبت، تقديما، و تحليلاً، و تنظيراً، على آداب ما بعد الاستعمارية المكتوبة باللغة الانجليزيّة لكتّاب من شبه القارة الهنديّة، وجنوب شرق آسيا، وجزر الهند الغربيّة، وأفريقيا، وكندا، وأستراليا، وسيريلنكا،

(١) استخدم هنا مفهوم (ما بعد الاستعمارية) للدلالة على تأثر الثقافات المحلية ومنها العربية بالامبريالية بوصفها أنظمة سياسية، واقتصادية، وثقافية مختلفة، ومعقدة، هدفها إخضاع الشعوب غير الغربية ؛ وعمليات هذا التأثير حادثة، بأشكال مختلفة ومتداخلة، من لحظة الاستعمار إلى الوقت الحاضر، انظر:

Aschroft, Bill et al. **The Empire Writes Back: Theory and Practice in Post-colonial Literature** (London & New York: Routledge, 1989). p. 2.

وانظر:

Edward W. Said, **Orientalism: Western Conceptions of the Orient** (1978. Harmondsworth: Penguin, 1995).

الترجمة العربية لهذا الكتاب:

إدوارد سعيد، **الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء.** ترجمة: كمال أبوديب (١٩٨١، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩١)

(٢) انظر:

Kamal Abu-Deeb, "Cultural Creation in a Fragmented Society" **The Next Arab Decade: Alternative Futures**, ed. Hisham Sharabi (Boulder, Colorado: Westview Press; London: Mansell, 1988) pp. 160-181; Saree S. Makdisi, "The Empire Renarrated: Season of Migration to the North and the Reinvention of the Present" **Critical Inquiry**, vol: 18, no: 4 (Summer 1992) pp. 804-820; Kamal Abu-Deeb, "The Collapse of Totalizing Discourse and the Rise of Marginalized/ Minority Discourses" in **Tradition, Modernity, and Postmodernity in Arabic Literature (Essays in Honour of Professor Issa J. Boullata)** ed. Kamal Abdel-Malak & Wael Hallaq (Leiden: Brill, 2000) pp. 335-366; Magda M. al-Nowaihi, "The "Middle East"? Or…/Arabic Literature and the Postcolonial Predicament." **A Companion to Postcolonial Studies**. ed. Henry Schwarz & Sangeeta Ray (Oxford: Blackwell, 2000) =pp. 282-303; Waïl S. Hassan, "Postcolonial Theory and Modern Arabic Literature: Horizons of = Application," **Journal of Arabic Literature** 33. 1 (2002): pp. 140-165; Muhsin Jassim al-Musawi, **The Postcolonial Arabic Novel: Debating Ambivalence** (Leiden: E. J. Brill, 2003); Hussein N. Kadhim, **The Poetics of Anti-Colonialism in the Arabic Qaṣīdah** (Leiden: E. J. Brill, 2004); Mohamed Salah Omiri: **Nationalism, Islam and World Literature**: **Sites of Confluence in the Writings of Mahmud al-Mas'adi** (New York & London: Routledge, 2006); Yasir Suleiman & Ibrahim Muhawi, ed. **Literature and Nation in the Middle East** (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2006); Rasheed El-Enany, **Arab Representations of the Occident: East-West Encounters in Arabic Fiction** (London: Routledge, 2006).

هناك عدد من المداخل حول الأدب العربي في المصدر التالي:

John C. Hawley ed. **Encyclopedia of Postcolonial Studies** (Westport, Connecticut, & London: Greenwood Press, 2001).

للوقوف على الأحداث التاريخية، والسياسية، والأعمال الأدبية، في العالم العربي، انظر الكرونولوجيا في المرجع التالي:

Neil Lazarus ed. **The Cambridge Companion to Postcolonial Literary Studies** (Cambridge: Cambridge University Press, 2004).

ونيوزلندا.[٣] أضف إلى ذلك أن تركيز دراسات ما بعد الاستعمارية في العالم الأنجلوفونيّ على الرواية التي كتبها باللغة الفرنسيّة مؤلفون عرب، مثل آسيا جبار، والطاهر بن جلون، وكاتب ياسين،[٤] وعدم التفاتها إلى الرواية العربيّة الأنجلوفونيّة، يُمثّلُ مفارقة تستدعي التأمل. لذلك يمكن القول إن إقصاء الرواية العربيّة الأنجلوفونيّة مازال جارياً من آداب ما بعد الاستعمارية والاتجاهات النقدية الغربيّة.

إنّ الأسباب الجوهرية لعدم اهتمام النقد الغربي بالرواية العربيّة الأنجلوفونيّة مختلفة. أولا، إنها وليد أدبي جديد في الثقافة الغربيّة التي نجحت فيها الأقليات المنحدرة من شبه القارة الهندية، وأفريقيا، وجزر الهند الغربية، منذ فترة طويلة، في تكوين مواقع لإنتاجها الثقافي والأدبي قائمة على تواريخها النضاليّة الطويلة التي لم تنفك عن تاريخ القوى الاستعمارية ذاتها؛ فمواقع تلك الأقليات جاءت متعلقة بعاملين: نزوعها نحو تراثها الأصلي المرتبط بأوطانهم القوميّة التي هاجروا منها لظروف مختلفة، وبناء هويات هجينة جديدة تتناسب مع وجودها في المجتمعات الغربيّة. ثانيا،

(٣) تركّز الدراسات التالية على قضايا آداب ما بعد الاستعمارية ما عدا الرواية العربية الأنجلوفونيّة:

Martin Coyle et al ed., **Encyclopedia of Literature Criticism** (London: Routledge, 1990); Padmini **and** Mongia ed. **Contemporary Postcolonial Theory: A** (London: Arnold, 1996); Elleke Boehmer **Reader** ed. **Empire Writing** (Oxford & New York: Oxford University Press: 1998); Ania Loomba, **Colonialism/Postcolonialism** (London & New York: Routledge, 1998); Dennis Walder, **Post-colonial Literature in English: History, Language, Theory** (Oxford: Blackwell 1998); Peter Childs ed. & introd., **Post-Colonial Theory and English Literature** (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999); Gregory Castle ed., **Postcolonial Discourses: An Anthology** (Malden, Massachusetts, & Oxford: Blackwell, 2001); Julian Wolfreys et al ed., **The Edinburgh Encyclopedia of Modern Criticism and Theory** (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2002); Bill Aschcroft et al ed., **The Post-Colonial Studies Reader** (London & New York: Routledge, 2006).

على الرغم من تحديث دائرة المعارف الآتية إلا أنها لم تركز إلا على ديفيد معلوف وعبدالرزاق غورنه:

Eugene Benson & L. W. Conolly ed., **Encyclopedia of Post-colonial Literature in English** (London & New York: Routledge, 2005).

لمداخل نقديّة حول عبد الرزاق غورنه ونور الدين فرح انظر:

Simon Gikandi ed., **Encyclopedia of African Literature** (London & New York: Routledge, 2003).

(٤) إضافة إلى الدراسات الموجودة باللغة الفرنسية، هناك عدد من الدراسات الموجودة باللغة الإنجليزية تدور حول الرواية العربية الفرنكوفونية، انظر:

Jacqueline Kaye & Abdelhamid Zoubir, **The Ambiguous Compromise: Language, Literature and National Identity in Algeria and Morocco** (London: Routledge, 1990); Françoise Lionnet & Ronnie Scharfman ed., Post/Colonial Conditions: =Exiles, Migrations and Nomadisms, special issue of **French Yale Studies**, vol: 1, no: 82 (1993);= Françoise Lionnet & Ronnie Scharfman ed. Post/Colonial Conditions: Exiles, Migrations and Nomadisms, special issue of **French Yale Studies**, vol: 2, no: 83 (1993) Special issue; Kenneth W. Harrow ed., **The Marabout & the Muse: New Approaches to Islam in African Literature** (Portsmouth, New Hampshire: Heinemann; London: James Currey, 1996); John Erickson, **Islam and =Postcolonial Narrative** (Cambridge: Cambridge University Press, 1998); Peter Dunwoodie=, **Francophone Writing in Transition: Algeria 1900-1945** (Oxford & New York: Clarendon Press, 1998); Anne Donadey, **Recasting Postcolonialism: Women Writing between Worlds (**Portsmouth, New Hampshire: Heinemann, 2001); Réda Bensmaïa, **Experimental Nations: Or, the Invention of the Maghreb** (Princeton & Oxford: Princeton University Press, 2003); Pamela A. Pears, **Remnants of Empire in Algeria and Vietnam: Women, Words, and War** (Lanham: Lexington, 2004).

لا يمكن إغفال أن أكثر روائيي العالم الثالث بروزاً ليسوا عرباً، ينحدرون من أفريقيا وشبه القارة الهندية، مثل وول شوينكا، ونادين جودماير، وجنوه أجيبي، وأجوجي واه ثوينبو، وبن أوكري، وزادي سميث، ومونيكا علي، وحنيف قريشي، وأرندوتي روي، وأنيتا ديساي، ومايكل أونداتشج، وغيرهم. فلقد أصّل ذلك صورة نمطيّة سائدة، مظهرها أن كتّاب العالم الثالث البارزين الذين يبدعون بلغة المستعمر ينحدرون من مستعمرات معيّنة غير عربيّة. ثالثا، إن علاقة إنتاج الكتّاب العرب بالتراث الغربي لا تخلو من إشكال؛ فالنقاد الغربيون ينظرون بشكل عام إلى أعمال الروائيين البارزين من أفريقيا، وشبه القارة الهندية، وجزر الهند الغربيّة، على أنها تمثل أدبا أفريقيا محضا وأدبا هنديا محضا؛ فهذه الآداب ليست جزءاً من التراث الغربيّ. يصنف الناقد الأمريكي هارولد بلوم، في دراسته عن التراث الغربي، وكتبه، ومدارسه، وعصوره، هؤلاء الروائيين، مع كتاب آخرين، ضمن ما يصطلح عليه "بعصر الفوضى".[٥] فعلى الرغم من الجودة الأدبيّة لأعمالهم إلا أنها لا تتحقق فيها السمات التي تجعلها جزءاً من التراث الأدبي الغربي. هكذا يصوغ بلوم مفهوما مغلقا لذلك التراث، يقوم على استبعاد كل الأعمال الأدبية البارزة للكتاب غير الغربيين، من دون اعتبار لجودتها الفنية العالية. فالقضية لديه تستوجب حماية التراث الغربي، ونقاء معاييره وقيمه من تهديدات المعايير والقيم الأخرى التي تمثّلها الأعمال الأدبية لمؤلفين غير غربيين. إذا كان وضع الروائيين البارزين من شبه القارة الهندية، وأفريقيا، وجزر الهند الغربيّة، يتسم بقدر كبير من الإشكال فيما يتصل بعلاقة أعمالهم بالتراث الغربي، فكيف يتم النظر إلى الرواية العربيّة الأنجلوفونيَة التي ظهرت في السنوات الأخيرة إلى الوجود في الثقافة الغربيّة؟

يرى جيفري ناش، في دراسته عن كتابات جبران خليل جبران، وأمين الريحاني، وإدوارد عطية، أن الغرب يتجاهل الخطاب العربي الأنجلوفونيّ تجاهلا يكاد يكون كاملا؛ و" سبب ذلك ربّما يعود إلى أن العالم العربي الذي يستند إلى تراث زاخر ظل بسبب ذلك الارتباط معزولا عن العالم الغربيّ ".[٦] فالتراث

---

(٥) انظر:

Harold Bloom, **The Western Canon: The Books and School of the Ages** (New York: Riverhead, 1994) p. 516.

وانظر ملحق الكتاب حيث يستثني بلوم روائيي العالم الثالث. وحول صلة الخطاب النقدي لدى بلوم بالتراث اليهودي انظر:

سعد البازعي، **المكون اليهودي في الحضارة الغربية** (بيروت و الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧)، ص ص ٣٧٧- ٣٩٣.

(٦) Geoffrey P. Nash, **The Arab in English: Arab Themes in a Metropolitan Language, 1908-1958** (Brighton & Oregon: Sussex Academic Press, 1998) p. 1.

كل ترجمة في هذه الدراسة لنا إلا إذا تمت الإشارة إلى غير ذلك.

يمثل وسيطا ضاغطا ومؤديا إلى العزلة في الوقت ذاته. وينتهي ناش إلى أن "الخطاب العربي الأنجلوفونيّ لا يمثل أدبا بارزا ومستقرا في الثقافة الغربية".[٧] إذن، يعزو ناش تجاهل الخطاب العربي الأنجلوفونيّ في الغرب إلى عامل التراث؛ فهو يمثل قوة ضاغطة تبني العزل الذاتي وتُثبّتُه، فلا يستطيع الكتّاب العرب، بسبب من ذلك، الخلاص من قيود تراثهم وصياغة أعمالهم على نحو ينفتح لاستقبال القارئ الغربي. إنّ تحليل ناش يفترض أن تأثير التراث العربي على الكتاب العرب يتم بشكل آلي ورتيب؛ ولذلك يكون عائقا أمام انفتاح النص لاستقبال القارئ الغربي. خلافا لهذه الأطروحة، أرى أنّ هضم التراث لدى هؤلاء الروائيين، سواء أكان ذلك بوعي أو من دون وعي، مكوّن جوهري يجري لصالح الإنتاج الأدبي، بقطع النظر عن ثقافة القراء ولغتهم.[٨] ويمكن الاستشهاد برواية أهداف سويف، **خارطة الحب**، التي صدرت عام ١٩٩٩، بوصفها نموذجا يوضح ما أذهب إليه. تمكنت سويف من خلال تمثّلها لنصوص من التراث العربي خاصةً **ألف ليلة وليلة**، واستخدام وسيط انجليزي هجين، أن تساعد القارئ الغربي في استقباله لروايتها، وبناء أفق للقراءة يتجاوز التشويش واللبس. فقد حاز عملها قدرا واسعا لدى القراء الغربيين، واعتباراً نقدياً كبيراً في الدوائر الأدبية الخاصة؛ حتى أنه رشح لنيل جائزة البوكر لأفضل عمل روائي مكتوب باللغة الإنجليزية؛ لكن تحيّزات لجنة التحكيم منحته الجائزة الثانية بدلا من الأولى، بسبب نقده مشروع الاستيطان الصهيوني في فلسطين.[٩] خلافا لمقولة ناش إذن يمكن للعمل الروائي الأنجلوفونيّ القائم على توظيف شيء من التراث العربيّ أن يجد استقبالا واسعا في الدوائر الغربيّة إذا تمت صياغة وسيطه الإنجليزي على نحو مبتكر يوسع من أفق اللغة المستخدمة ويضيف إليها شيئا ذا جدة وطرافة. إنّ النقد الغربيّ لم يكتشف إلى هذه اللحظة أن خطاب الرواية العربيّة الأنجلوفونيّة يدور في أفق جديد، يختلف عن أفق الرواية الإنجليزيّة، والأمريكية، والأسترالية، والكنديّة. وربّما لم يتيسر للحساسية الأدبية والثقافية للقارئ الغربي التعرف إلى حقيقته؛ إذ يقوم هذا الخطاب بتفكيك حدود المجال المعتاد للوسيط اللغويّ الإنجليزي القائم على التراث الغربي، ويعيد في الوقت ذاته تكوين مجاله الخاص،[١٠]

(٧) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٨) انظر الفصل السادس من أطروحتي حيث أحلل كيف وظّف الكتاب العرب التراث العربي في أعمالهم المكتوبة بوسيط أجنبي:

Muhammad Abdulrazzaq Abdulqaffar, **"The Problematic of Identity in the Arab Novel Written in English"** Unpublished Dissertation. London: School of Oriental and African Studies, University of London, 2007.

(٩) انظر: أهداف سويف "خارطة الكتابة: حوار مع أهداف سويف" حوار: سامية محرز. **ألف: مجلة الشعرية المقارنة**. العدد: ٢٠ (٢٠٠٠) ص ص ١٦٨- ١٨٠.

(١٠) انظر:

Gills Deleuze & Fèlix Guattari, **Kafka: Toward** =

مُشكّلا وسيطا لغويّا هجينا قائما، بشكل وثيق، على تمثيل التراث العربي. كما يمثّل ذلك الوسيط، بشكل كلي أو جزئي، عوالم أخرى، هي قضايا المجتمع العربي والثقافة العربيّة.

٢- الوضعية الإثنية للروائيين العرب الأنجلوفونيين

إنّ كُتّاب الرواية العربية الأنجلوفونيّة يعيشون على حدود ثقافات مختلفة، إسلاميّة، وعربيّة، ومسيحيّة، وغربيّة. وهذا ما يجعل وضعهم يتسم بالخصوصية؛ فهم في نظر المجتمع الغربي جماعة إثنيّة، عرب بريطانيون، أو عرب أمريكيون، أو عرب أُستراليون، أو عرب كنديون، تُمثّل أعمالهم الروائية التي تراكمت في السنوات الأخيرة قضايا التفاعل الثقافيّ بين العرب والغرب، فلم تتم دراسة هذا الخطاب السردي الجديد في الثقافة الغربية الذي يمثَل منطقة تتفاعل فيها ثقافات مختلفة؛ بينما دارت الدراسات حول الإنتاج الأدبي للإثنيات الأخرى في المجتمع الغربي، مثل الأقليات الهنديّة، والسريلنكيّة، والأفريقيّة، والهنديّة الغربيّة. والغرض من التصنيف الآتي بيان الإشكال المتعلق بأولئك الكتّاب الذين يكتبون الروايّة العربيّة الأنجلوفونيّة فقط؛ وليس المراد اتخاذه أساسا لتحليل الموضوع:

١- تمثل الأسماء الآتية مجموعة الروائيين العرب: أمين الريحاني، وهشام مطر، وأهداف سويف، وعمار عبد الحميد، وفاديا فقير، وجبرا إبراهيم جبرا، وجوزيف غيها، وليلى أبو العلا، ونبيل صالح، وصبيحة خمير، وشاول دلال، وتوني حنانيا، ووجيه غالي، وياسمين زهران، وزينه غندور.

٢- تمثل المجموعة الثانية الروائيين الذي ينحدرون من أصول مختلطة، عربية وغير عربيّة: عبد الرزاق غورنه ينحدر من أم يمنية وأب زنجباري، وكلير مسعود تنحدر من أب جزائريّ وأم فرنسيّة، وديفيد معلوف ينحدر من أب لبنانيّ وأم انجليزيّة، وديانا أبو جابر تنحدر من أب أردنيّ وأم أمريكيّة، وإيتل عدنان تنحدر من أب سوريّ وأم يونانيّة، وجمال محجوب ينحدر من أب سوداني وأم انجليزيّة، ونعومي شهاب تنحدر من أب فلسطيني وأم أمريكيّة، وندى جرار تنحدر من أب لبناني وأم أستراليّة.[١١]

إن وضعيّة روائيي المجموعة الأولى عربية؛ وذلك لكونهم يعرّفون أنفسهم على هذا النحو، وأهم

= **a Minor Literature**, trans. Dana Polan. Vol: 30, Theory & History of Literature (Minneapolis & London: University of Minnesota Press, 1986) pp. 16-27.

يستخدم جيلز ديلوز وفيليكس غيتاري مفهوم 'deterritorialisation' ومفهوم 'reterritorialisation' من أجل تحديد كيف وظّف فرانز كافكا اللغة الألمانية التي يتكلم بها يهود الشيك، وكيف أوجد ذلك حاجة جديدة ومختلفة للتلفظ غيرت أفق اللغة عند المستخدمين؛ فالأدب الفرعي يظهر من صلب أدب رئيس.

(١١) المعلومات المتعلقة بأصول الكتّاب موجودة في أعمالهم الروائية، لبلوغرافيا ضافية حول ذلك انظر:

Abdulqaffar, **"The Problematic of Identity in the Arab Novel Written in English"**.

من ذلك أنّ أعمالهم تمثّل تلك الوضعيّة. أما الوضعية الثقافية لروائيي المجموعة الثانية الذي ينحدرون من أصول عربية وغير عربية فتتفاوت من كونها عربيّة خالصة وهجينة إلى نقيض كل ذلك. وهذا ما سيجلوه المحور القادم الذي يدور حول ارتباط الرواية العربيّة الأنجلوفونيّة بالمجال العربي.

يمكن الوقوف بشيء من التفصيل على حالة الروائي الصومالي نور الدين فرح من أجل جلاء قلق الانتماء الثقافي الذي يعتري وضعيّته فيما يتعلق باتصال إنتاجه الأدبي بالثقافة العربيّة. تنتمي أعمال فرح إلى الخطاب الروائي العربي الأنجلوفوني ليس لسبب سياسي؛ كون الصومال عضوا في الجامعة العربية؛ وإنما لأسباب تتعلق بالثقافة وتداخل النصوص. فأعماله تمثل المنطقة التي تتفاعل فيها الثقافة الصوماليّة والثقافة العربيّة من جانب، والأدب العربي والأدب الأفريقي من جانب آخر. يضاف إلى ذلك أن تأثير النصوص الرئيسة في التراث العربي، مثل **القرآن الكريم**، و**ألف ليلة وليلة**، و**كليلة ودمنة**، وقصص الحيوان، جدّ كبير في أعماله. ومن المناسب في هذا السياق اقتباس شيء من آراء فرح، وهو يقدم بشكل ضمني أطروحتين متناقضتين حول الهويّة الثقافيّة لأعماله. في مقابلة أجريت معه في عام ١٩٨٦ يشير فرح إلى أن اللغة العربيّة هي إحدى اللغات الأجنبية التي تعلمها:

" اختياري للكتابة بالانجليزية وليس بالعربية أو الأمهرية، وهي لغات أجنبية تلقيت بها تعليمي النظامي، يعود إلى أنني اشتريت بمحض الصدفة آلة كاتبة أمريكيّة الصنع"(١٢)

يرى فرح أن اختياره اللغة الإنجليزية لكتابة إنتاجه الأدبي، من بين اللغات التي يتقنها، يعود إلى محض الصدفة. كأنّه اتخذ موقفا محايدا قبل الاختيار؛ لكنّ وجود الآلة الكاتبة دفعه إلى اختيار لغتها، ويسّر استخدامه لها، ومن ثمّ التواصل بها من خلال النشر على المستوى العالمي، وليس المحلي، والعربي، والأفريقي. في مقابلة أخرى أجريت معه في عام ١٩٨٩. يشتكي فرح من أن النّقاد العرب مازالوا يتجاهلون أعماله الروائيّة:

" سبب واحد - وربَما هناك أسباب أخرى – لعدم ارتياح النقاد العرب، يتعلق باختياري الكتابة بلغة أجنبية، و كان ينبغي في نظرهم أن أكتب بالعربية، فهم ببساطة يقولون: نحن لسنا مهتمين بإنتاجك الأدبي. السبب الآخر ربما يعود إلى عدم اهتمامهم بالموضوعات التي أكتب عنها."(١٣)

---

(١٢) انظر المقابلة في ملحق الرواية:
Nuruddin Farah, **Maps** (London: Penguin, 1986) Appendix, p. 7.

(١٣) انظر:
Nuruddin Farah, "Nuruddin Farah: A Combination of Gifts" Interview with Maya Jaggi, **Third World Quarterly**, vol: 11, no: 3 (July 1989) pp. 180.

و المصادر الآتية لا تدرج فرح ضمن الروائيين العرب:
Julie Scott Meisami & Paul Starkey ed., **Encyclopedia of Arabic Literature** (London: Routledge, 1998); John J. Donohue & Leslie =

يبدو واضحاً أن فرح يُقرّ، على أقل تقدير، بأن إنتاجه الأدبي جزء لا يتجزأ من منطقة تتقاطع فيها الثقافة العربية بالثقافة الصومالية والثقافة الأفريقية؛ لذلك كان من حقّه أن يعبّر عن خيبة أمله بسبب عدم عناية النقاد العرب بإنتاجه الأدبي وإقصائه المستمر.

تصدر الرواية العربيّة الأنجلوفونيّة من مواقع ثقافية عديدة تتفاعل فيها ثقافات مختلفة[١٤]، فيها يقوم هؤلاء الكتاب بإنتاج أعمالهم الروائية. والموقع، كما يذهب فرانكو موروتي، " ليس حاوية خاملة وليس صندوقا يتحقق فيه التاريخ الثقافي. ولكنّه قوة فاعلة تتخلل الحقل الأدبي وتشكله بعمق".[١٥] فالموقع الثقافي يشير إلى ظهور أنساق خاصة بجماعة إثنية معينة تعيش في المجتمع الغربي، ومن خلال تلك الأنساق يتشكّلُ تاريخها ويظهر أيضا كل إنتاجها مطبوعا بخصوصياتها وبمظاهر المحيط الغربي ذاته؛ فهو إذن السياق التاريخي لثقافتها الهجينة[١٦]. إنّ فرز المواقع التي فيها يعيش ويكتب هؤلاء الكتاب من شأنه أن يكشف لنا عن مدى انخراطهم في نسيج المدن الغربية الكبرى، خارج حدود أوطانهم الأصليّة، بوصف ذلك فضاءات ذات سلطة ضاغطة؛[١٧] فأعمالهم الأدبيّة تمثّل، بوعي أو من دون وعي، تلك الشفرات الخاصة بالمواقع الثقافية. يعيش كل هؤلاء الروائيين ويكتبون خارج أوطانهم الأصليّة؛ فجبرا إبراهيم جبرا عاش و كتب في العراق بعد خروجه لاجئا في عام ١٩٤٨ من فلسطين بسبب عملية التطهير العرقي التي قامت بها العصابات الصهيونيّة وإنشاء دولة إسرائيل بعد رحيل الانتداب البريطاني. ويعيش فرح في جنوب أفريقيا بينما يعيش معلوف في أستراليا، و تعيش أبو جابر وعدنان في الولايات المتحدة الأمريكية، وندى جرار متنقلة بين لندن وباريس وسيدني وواشنطن العاصمة وبيروت، أما البقية فتعيش في المملكة المتحدة. وعدد كبير منهم يحمل جنسية البلدان التي يعيشون فيها. لذلك يمكن القول إن هؤلاء الروائيين العرب الخُلّص يكتبون خارج حدود الدول القوميّة التي ينتمون إليها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الروائيين العرب ذوي الأصول المختلطة؛ فهم يكتبون خارج حدود الدول القوميّة التي ينتمي إليها الطرف العربي من آبائهم. هذه الوضعيّة، من حيث الافتراض، تجعل كتاباتهم مجالاً لتفاعل ثقافات مختلفة؛ وهم أيضاً ينظرون إلى الجماعات الإثنيّة الأخرى التي تعيش في الغرب وكيف تبني وتمثّل بأشكال مختلفة ثقافاتها وهوياتها الهجينة. إن لأصولهم العربية والمختلطة سلطة خاصة تساهم في تشكيل

= Tramontini ed., **Crosshatching in Global Culture: A Dictionary of Modern Arab Writers: An Updated English Version of R. B. Campbell's "Contemporary Arab Writers"** (Beirut: Ergon Verlag Würzburg, 2004).

(١٤) Locations.

(١٥) Franco Moretti, **Atlas of the European Novel: 1800-1900** (London & New York: Verso, 1999) p. 3.

(١٦) انظر:

Homi K. Bhabha, **The Location of Culture** (New York & London: Routledge, 1994) p. 25.

(١٧) Homi K. Bhabha, **The Location of Culture** (New York & London: Routledge, 1994) p. 25.

خبرتهم عن مجتمعاتهم الأصلية، واللغة العربيّة، والتراث العربي، والوسيط اللغوي الانجليزي الذي يمثّل كل ذلك. كل هذا يجعل وضعيّتهم تختلف عن وضعيّة الكتّاب العرب الذين يكتبون بلغتهم الأم ضمن حدود أوطانهم القوميّة.

في ضوء ذلك القلق المتعلق بالانتماء الثقافي والمواقع الثقافية، فمن الأهمية بمكان تحديد الرواية العربية الأنجلوفونية بشكل أعمق من كونها الخطاب الذي يكتبه باللغة الإنجليزيّة الروائيون العرب الخلّص والعرب ذوو الأصول المختلطة؛ ذلك أنني أروم تحديدا يدور حول الكيفية التي من خلالها يبني هؤلاء الكتّاب مواقعهم الثقافية وهوياتهم الخاصة. لما كان الروائيون العرب يمثلون جزءا من الأقلية العربيّة التي تعيش في المجتمعات الغربية ويكتبون متأثرين بالتراث الأدبي الإنجليزي والثقافة الغربيّة، ومقاومين لهما، فيمكن اعتبار خطابهم الروائي جزءاً من آداب ما بعد الاستعماريّة. ويمكن أيضا لهذا الخطاب أن يكون جزءا من الأدب الانجليزي بسبب اللّسان الانجليزي المستخدم، إذا سلمنا بأن "الحدود الفاصلة بين [...] الآداب هي اللغات، فالكاتب أو الشاعر إذا كتب كلاهما بالعربية عددنا أدبه عربيا مهما كان جنسه البشرى[كذا] الذى [كذا] انحدر منه. فلغات الآداب هي ما يعتد به الأدب المقارن [...]"، [١٨] كما يشير إلى ذلك محمد غنيمي هلال في سياق تحديده لمفهوم الأدب المقارن في عام ١٩٥٣. غير أنّني أذهب إلى أبعد من كل ذلك مختلفاً مع أطروحة هلال التي تستند إلى المدرسة الفرنسية التقليدية في الأدب المقارن، فأرى أنّ هذا الخطاب الروائي الأنجلوفونيّ بوضعيّة بمؤلفيه عربيٌ لأسباب متداخلة يمكن إيجازها فيما يلي:

١- من الناحية الإثنيّة يتحدد الخطاب بوضعيّة فحواها أن الروائيين العرب والعرب ذوي الأصول المختلطة يبنون ويمثّلون، جزئيا أو كليا من خلال إنتاجهم الأدبي، ارتباطات الهُوية وفق شروط اجتماعية، وسياسية، وتاريخية، وثقافية معقدة.

٢- من ناحية تداخل النصوص تمتّ كتاباتهم بصلة ما إلى التراث العربي.

٣- فيما يتعلق بالموضوعات فإن أعمالهم تمثّل جزئياً أو كلياً قضايا المجتمع العربي والثقافة العربية.

إنّ أعمال هؤلاء الكتاب تمثّل عملا متواصلا لبناء مواقع ثقافية جديدة، شروطها معقدة ومختلفة عن مواقعهم التي يمكن أن تتكون لهم في نطاق الحدود القوميّة للدول العربيّة التي ينحدرون منها أو ينحدر منها آباؤهم.

٣- علاقة الرواية العربية الأنجلوفونية بالمجال العربي

إنّ اعتبار النصوص الروائية للكتاب العرب الأنجلوفونيين عربيّة يخضع لشرطين أساسيين: أولا، إذا قامت صلة ما بين النصوص والتراث العربيّ. ثانيا، إذا مثّلت تلك النصوص قضايا المجتمع العربي وثقافته،

(١٨) محمد غنيمي هلال، **الأدب المقارن** (١٩٥٣، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤) ص ١٣.

وإن انتفت العلاقة بين تلك النصوص والتراث العربيّ. إن هذه الشروط يمكن أن يصحبها تطعيم نصي أو لا يصحبها شيء من ذلك؛[١٩] مثل إدخال مفردات أو عبارات عربية في النصوص، أو ترجمة المفردات العربية أو تحويلها إلى الانجليزية[٢٠]. هذه الاستراتيجيات النصيّة تسهم أسلوبياً في تهيئة النص الانجليزي ليكون وسيطا هجينا حاملا لسمت عربي مخصوص. في ضوء كل ذلك، يمكن تصنيف النصوص الروائية العربية الأنجلوفونيّة.

المجموعة الأولى تتضمن الروايات الآتية: **في عيون الشمس**، و**خارطة الحب** لأهداف سويف، و**المنارة**، و**المترجمة** ليلى أبي العلا، و**صيادون في شارع ضيّق** لجبرا إبراهيم جبرا، و**خرائط**، و**علاقات**، و**هدايا**، و**أغلق يا سمسم**، و**أسرار** لنور الدين فرح، و**متسولة على بوابة دمشق** لياسمين زهران، و**مشتتون مثل البذور** لشاول دلال، و**مدينة غير حقيقية**، و**الحنين إلى الوطن**، و**جزيرة أروس** لتوني حنانيا، و**أعمدة الملح**، و **نسانت** لفاديا فقير، و**الحامل**، و**السفر مع الجن**، و**في ساعة العلامات** لجمال محجوب، **الأغنيات العربيّة** و**الهلال** لديانا أبي جابر. هذه الأعمال الروائية تمتّ بصلة مباشرة إلى التراث العربي، وتمثّل موضوعات المجتمع العربي والثقافة العربية بشكل متنوع.

أما نصوص المجموعة الثانية فلا تمثّل التراث العربيّ، ولكنها تمثّل قضايا المجتمع العربيّ وثقافته المعاصرة. تجسد رواية **جعة في نادي السنوكر** لوجيه غالي هذا الاتجاه. فعلى الرغم من صعوبة تحديد سبب بعينه لعدم اتصال الرواية بالتراث العربي، إلا أن ما يستأهل النظر هو الاتجاه الفكري للكاتب وبطل الرواية؛ ففي سيرة المؤلف والرواية ما يشير إلى أنّ المؤلف والبطل متماثلان في صيرورتهما. فعلى الصعيد الاجتماعي، كلاهما ينحدران من الطبقة العليا وملاك الأراضي في الفترة الملكية في مصر. فقدت أسرتاهما ثرواتهما بعد مجيء جمال عبد الناصر إلى سدة الحكم في عام ١٩٥٢ و تأميم الأراضي التي تمتلكها الطبقة الارستقراطية[٢١]. وعلى الصعيد الفكري، كلاهما أصبحا يساريين بفعل علاقتهما بفتاتين يهوديتين مصريتين، وراما زوال الفروق الطبقية الماثلة في مصر الملكية[٢٢]. بعد ذلك، أصيبا بخيبة أمل بسبب الطريقة التي حكم بها عبد الناصر، وعدول الثورة المصرية عن مبادئها التي تمنى المصريون أن تتحول إلى حقيقة. تعرضا للملاحقة الأمنية بسبب انتمائهما اليساري، لذلك خرجا من مصر للعيش في المنفى، فمكثا في ألمانيا ثم انتقلا إلى لندن حيث مرّا بفترة قلق كبير لعجزهما عن التوافق مع واقعهما الجديد في المجتمع الغربي، وفشلهما في الحصول على الإقامة الدائمة، على الرغم

---

(١٩) Grafting.

(٢٠) Transliteration.

(٢١) Waguih Ghali, **Beer in the Snooker Club** (1964. London: Serpent's Tail, 1987), pp. 11-13 & Diana Athill, **After a Funeral** (London: Granta, 2000) p. 6.

(٢٢) Athill, **After a Funeral**, p. 14 & Ghali**, Beer in the Snooker Club**, pp. 26, 51-59.

من انتمائهما إلى الطبقة الارستقراطية، واعتبارهما اللغة الانجليزيّة عاملا رئيساً في تكوين هويتهما.[٢٣] لكنّ حياة المؤلف وحياة البطل تفترقان في الحدث الأخير؛ يعود بطل الرواية إلى مصر بعد فشل تجربة المنفى ليعاني كثيرا من عدم القدرة على الانسجام مع الواقع الاجتماعي والسياسي الجديد الذي تكوّن بفعل ثورة الضباط الأحرار. أما المؤلف فلم يتحمل حياة المنفى في لندن، فأقدم على الانتحار في عام ١٩٦٩[٢٤]. إنّ التشابه بين حياة المؤلف وبطل الرواية يُظهر أن كثيراً من أحداث العمل الأدبي قد استقيت من سيرة المؤلف. وليس في العمل ما يشير إلى توظيف التراث العربي؛ فغالي كان أحد أفراد الطبقة الارستقراطية التي لا يدرس أبناؤها إلا في التعليم الخاص القائم على المناهج واللغات الأجنبية. فاللهجة المصرية تستخدم، لدى هذه الطبقة، في التواصل مع أفراد الطبقة المتوسطة والطبقة الدنيا. لا يوجد في الرواية ولا في سيرة غالي ما يدل على توظيفه للتراث العربي. في مشهد ذي دلالة لافتة، تُبرز الرواية أن بناء الهويّة لا ينفك عن القلق الفردي، والتوتر الجمعي الناجمين عن استخدم لغة المستعمر، وعن الانتماء الجمعي الذي يُؤصل الانعزال والإحساس بالفوقيّة عند الطبقة الارستقراطيّة. يشكو صديق البطل من أنّهم غدوا بشكل يبعث على القلق مثل البريطانيين، بسبب إفراطهم في استخدام اللّغة الانجليزيّة؛ وعدم قدرتهم على استخدام اللّغة العربيّة جعلهم معزولين عن بقية المصريين:

" قلت: "تكلم عن نفسك، فأنا أستطيع أن أتبادل النكت مع أفضل المصريين."

قال: يمكن أن تكون على صواب. و يمكن أن لا تكون ثقافتنا إلا نكتا.

قلت: " لا، يا فونت، إنها ليست كذلك. حقيقة الأمر أننا لم ندرس العربيّة على نحو صحيح (...)

قلت: "ما عنيته أن النكت بالنسبة للمصريين مثل رقصة كليبسو بالنسبة إلى الهنود الغربيين، أو موسيقى الجاز بالنسبة إلى الأفارقة الأمريكيين."[٢٥]

يرى صديق البطل أنهما أصبحا بعدين كل البعد عن السواد الأعظم من المجتمع، ومعزولين عن الثقافة الكلية للمجتمع بفعل اللغة الأجنبية التي يستخدمانها. لكن البطل يعتقد ببراءة أن القدرة على تبادل النكات مع المصريين هو ما يُمثّل جوهر الثقافة المصرية؛ إنه يختزل ثقافته وطرائق التواصل عند أفراد المجتمع إلى مظهر وحيد ومعروف عن المصريين، فكما يتم اختزال الثقافات الأخرى إلى علامات دالة كرقصة الكليبسو لدى سكان جزر الهند الغربية، وموسيقى الجاز لدى الأفارقة الأمريكيين، يتمّ اختزال الثقافة المصريّة إلى علامة دالّة ووحيدة. وما يدعو للاستغراب أن ذلك التبرير يبدو كافيا لدى البطل كي يتصور أن علاقاته مع

(٢٣) Athill, **After a Funeral**, p. 45 & Ghali**, Beer in the Snooker Club**, p. 80.

(٢٤) حول انتحار غالي انظر:
Athill, **After a Funeral**, pp. 136-158.

(٢٥) Athill, **After a Funeral**, pp. 136-158.

أبناء جلدته من الطبقات الأخرى طبيعيّة ومتينة. إن الانفصال عن التراث في الرواية، سواء أكان اختياريّاً أم قسريّاً، تسنده لغة النص ذاته؛ ذلك أنها لا تحمل مفردات وعبارات عربية، ولا عبارات مترجمة أو محولة إلى الانجليزيّة على الرغم من تمثيل النص للقاهرة في الخمسينيات والستينيات من القرن المنصرم. بل على العكس من كل ذلك، فالنص الانجليزي يحمل مفردات وعبارات فرنسيّة.[٢٦] الرواية إذن تفضح استخدام الأرستقراطيين لغة المستعمر، وتفضليهم لها، على حساب اللغة القوميّة للمجتمع، من أجل تحديد هويتهم الجمعية، وتمييز طبقتهم عن بقية الطبقات، وتكريس فصلها عنهم. فعلى مستوى اللاوعي، تحاكي هذه الطبقةُ الطبقةَ الأرستقراطية البريطانية. بل إن الإفراط في استعمال اللغة الإنجليزية يشير إلى ما هو أبعد من المحاكاة؛ إنها رغبة دفينة في التماهي مع المستعمِر في وجوده الطبقي الأرستقراطي بوصفه سلطة مادية ورمزيّة. فهذه الرغبة الماثلة في الاستخدام المفرط للسان المُستعمِر البريطاني من أجل التماهي معه، تناظرها رغبة الطبقة الارستقراطية الحاكمة في بريطانيا العظمى في اجتباء الطبقات العليا في المستعمَرات من أجل ربطها بعلاقات قوية. فالمستعمرون البريطانيون أدركوا سلفا أن جذب الطبقات العليا في المستعمرات ليس ترفاً، وإنّما ضرورة استدعتها رؤيتهم الإستراتيجيّة لربط أجزاء إمبراطوريتهم التي لم تنفك بنيتها عن المكوّنات الاجتماعيّة للطبقة الارستقراطيّة الحاكمة في بريطانيا[٢٧]. لقد تمّ تصوير قلق الانتماء الطبقي عند البطل، قبل العيش في منفاه الغربي، وتحوّل ذلك إلى مشكلة تتداخل فيها طبقته ووطنه ومنفاه في العالم الغربي في سياق خلا من المفردات والعبارات العربية وتوظيف التراث العربي.

على خلاف رواية غالي، تتضمن رواية **الحياة الأخيرة** لكلير مسعود قليلا من المفردات العربيّة التي تحيل إلى الجزائر عندما كانت مستعمرة فرنسيّة. تَحفرُ البطلة في الذاكرة الجمعيّة لأسرتها الكاثوليكيّة التي تنحدر من أصل جزائري وفرنسي. كان جد البطلة يعمل نائبا لمدير أحد الفنادق في مدينة الجزائر؛ فعندما بدأت فرنسا تفقد سيطرتها على الجزائر بفعل المقاومة الشعبيّة، هاجر بصحبة أسرته إلى مرسيليا في عام ١٩٥٨. ثمّ انتقلت الأسرة إلى العالم الجديد، الولايات المتحدة الأمريكيّة، بحثا عن حياة أفضل.[٢٨] بالنسبة إلى البطلة، الولايات المتحدة الأمريكية والجزائر موقعان متناقضان. تجسد الأولى عالم الواقع، والمستقبل الذي

(٢٦) المرجع السابق، ص ص٤٢، ٢٣، ٤٧- ٤٨، ٧٠، ١٤٢، ١٧٠.

(٢٧) انظر:

David Cannadine, **Ornamentalism: How the British Saw their Empire** (Oxford: Oxford University Press, 2001) p. xix

(٢٨) Claire Messud, **The Last Life** (London: Picador, 1999) p. 174

يربط أسرتها بغيرهم من المهاجرين القادمين من دول مختلفة. لكنّ البطلة سرعان ما تدرك أنّ الوطن الجديد قد غدا قناعاً يخفي من ورائه فراغاً عميقاً، لا يسدّه إلا استعادة الجذور التاريخيّة لأفراد أسرتها الذين عاشوا في الجزائر. لا تبحث البطلة عن الجزائر الحاليّة، في زمن ما بعد الاستعمار، وإنّما تبحث عن الجزائر الفرنسيّة التي لا تخضع صورتُها للتحول والتغيّر في الذاكرة الجمعيّة للأسرة. يقدم السرد هذه الذاكرة الجمعيّة بوصفها صورة متخيلة مليئة بالأحداث، تعمل البطلة على سبرها، وتأملها، وفهم تأويلاتها. إنّ التحول الجمعي للأسرة، على مستوى الهويّة، بدأ منذ مغادرة الجزائر الفرنسية، مرورا بفرنسا، وانتهاء بالولايات المتحدة الأمريكيّة؛ فدخول الأسرة العالم الغربيّ لم يقطعها عن جذورها التاريخيّة، بل ولّد نزعة الارتداد إلى الماضي بوصفه عالما متخيلا، لا يمكن الاستمرار في الحاضر من دونه، فالعيش في الولايات المتحدة الأمريكيّة تحوّل إلى هاجس خفي لأنّه لم يصنع تاريخا جديدا وعميقا للأسرة. ويكمنُ التوتر حين تبدو فكرة العودة لدى البطلة إلى الجزائر من أجل رؤية المدينة التي عاش فيها جدها وجدتها مستحيلة؛ وسبب ذلك يعود إلى أنّ الجزائر المستعمرة قد تحوّلت إلى حالتها الأولى، عربية وإسلامية، في زمن ما بعد الاستعمار.[٢٩] فالعودة إلى الجزائر لن تعيد شيئا من الزمن المفقود، وإنّما تَخَيُّل الوشائج التي تربط الأسرة بالجزائر الفرنسية من مسافة بعيدة سوف يبقيها مكونا جوهريا للذاكرة الجمعية لدى الأسرة. إن استعادة البطلة لجذور أسرتها التاريخية لا تخلو من تناقضات؛ فلقد جرى التحوّل في هويّة الأسرة المتشبّثة بصورة الجزائر الفرنسيّة في أثناء الاستعمار، ولم يكن من المتصور لدى أفرادها أن ينظروا إلى الجزائر، من دون جلادها الفرنسي، متحولةً إلى زمن ما بعد الاستعمار. إنّ الأسرة تقبل التحولات التي تجري على مستوى الهُوية لدى أفرادها، من الجزائريّة الفرنسيّة إلى الفرنسيّة الخالصة، ثمّ من الفرنسيّة إلى الأمريكيّة، لكنّها لم تقبل فكرة العودة إلى الجزائر بعد مقاومتها وتحوّلها إلى حقبة ما بعد الاستعمار. إنّ التناقض في هويّة الأسرة يتمثّل في أنّها تثبّت صورة واحدة لارتباطها بالجزائر في زمن الاستعمار الفرنسي لا تقبل لها التبدّل، لكنّها من جانب آخر لا تفهم هويتها إلا في سياق التغيّر الذي نجم من خلال هجرتها الدائمة بعيدا عن الجزائر في زمن ما بعد الاستعمار.

على خلاف النصوص التي تمتّ بصلة إلى موضوعات المجتمع العربي وقضايا ثقافته، هناك مجموعة ثالثة من النصوص تمتُّ بصلة ما إلى التراث العربي، ولا علاقة لها بقضايا المجتمع العربي. فروايات مثل **الجنة**، و**بالقرب من البحر**، و**إجلال الصمت**، لعبد الرزاق غورنه تمثّل هذا الاتجاه. في رواية **بالقرب من البحر** مثلا، لا يجد البطل الذي ينحدر من أصل زنجباري وعماني مناصا من التوجه إلى بريطانيا لطلب

(٢٩) المرجع السابق، ص ٣١٧.

اللجوء السياسي بعد رحيل المستعمر وتشكيل أول حكومة وطنيّة بعد الاستقلال. فعند وصوله إلى مطار جيتويك في إنجلترا، يتشبّث بالصمت رافضا الإفصاح عن أية معلومات شخصيّة، ومتظاهرا لسلطات الهجرة بأنّه لا يتحدّث الإنجليزيّة ولا يفهم منها شيئا. فيتمّ احتجازه في معسكر اللاجئين الراغبين في الحصول على الإقامة الدائمة إلى حين البَتّ في قضيّته. ومما يزيد من حيرة السلطات أنّه لا يحمل معه أي متاع إلا صندوقا خشبيا صغيرا يضمّ عود القماري. تلجأ السلطات إلى استعمال أحد الأكاديميين المتخصصين في الثقافة السواحليّة ولغتها كي تخرجه من صمته وتكشف عن حقيقته. وبعد لأي كبير يتمكن هذا الخبير الأكاديمي الذي ينحدر من زنجبار من إخراج البطل من صمته وعزلته؛ فينخرط هذا الأخير في استحضار ماضيه المعقد، ويكتشف مع الخبير صلة القرابة التي تجمعهما. كان في زنجبار يمتلك محلا لبيع التحف الثمينة، يرتاده الموسرون وأفراد الجيش البريطاني الذين يستعمرون المنطقة منذ طرد العمانيين لاقتناء ما ندر منها. وكانت تجارته تستفيد من التجار العرب الذين يربطون المنطقة بالخليج العربيّ، والهند، وجنوب شرق آسيا. يقتحم تاجر بحريني عالم البطل وأسرته فيغير الكثير من مصير أفرادها. بعد رحيل الاستعمار البريطاني يدخل السجن بتهمة الاستحواذ على ممتلكات التاجر البحريني بوجه غير قانوني، فتحكم عليه المحاكم الصورية التي أقامتها أول حكومة وطنية بالسجن؛ لكنه يزج في معتقل مع آخرين اتهموا بتدبير محاولة انقلاب على السلطة. وما يستدعيه البطل من سيرته وسيرة أفراد أسرته يتداخل بشكل كبير مع تاريخ المنطقة العربية وأدبها؛ فمن أبرز ملامح ذلك الحضور التاريخي للعمانيين في زنجبار، والرحلات البحرية، وعبور الأماكن وما يصاحب ذلك من تحولات كما هو ماثل في حكايات **ألف ليلة وليلة**، وخاصة تلك التي تتعلق بالثيمات والموتيفات البحريّة.

تتضمن المجموعة الرابعة الأعمال التي لا تمتّ بصلة إلى التراث العربي ولا تمثّل قضايا المجتمع العربي وثقافته، مثل جميع أعمال ديفيد معلوف، و**عندما كان العالم مستقرا** و**الصيادون** لكلير مسعود. فلا يمكن إدراج الأعمال الروائية المكتوبة باللغة الانجليزية للروائيين العرب الخلص، والعرب ذوي الأصول المختلطة، ضمن الخطاب الروائي العربي الأنجلوفوني إذا خلت تماما من تلك الصلات؛ فلا بدّ من أن يجري في العمل، على الأقل، جزء من السرد يمثّل تلك الصلة حتى يمكن اعتبارها نصوصا تنتمي إلى خطاب الرواية العربية الأنجلوفونية.

٤- الخلاصة

مازالت الاتجاهات النقديّة الغربية وآداب ما بعد الاستعماريّة تُقصي الرواية العربيّة الأنجلوفونيّة، لأسباب مختلفة أبرزها أنها جنس أدبي جديد يكتبه مؤلفون عرب وعرب ذوو أصول مختلطة؛ فقد يحتاج هذا الجنس الأدبي

إلى فترة طويلة كي يؤسس موقعه الهجين في الثقافة الغربية، وتتحقق لمؤلفيه مكانة تناظر تلك التي يتمتع بها كتّاب ينحدرون من إثنيات أخرى. فالوضعية الثقافية لمؤلفي الرواية العربية الأنجلوفونية معقدة اجتماعيا، وسياسيا، وتاريخيا، وثقافيا، ومجال لتفاعل ثقافات متعددة. ولما كان من أبرز مظاهرها الكتابة خارج الحدود القومية لأوطانهم العربيّة، فقد أضحت موسومة بقلق الانتماء الثقافي، وقلق بناء مواقع ثقافية تمثّل خصوصيتها داخل المجتمع الغربي، وقلق النظر إلى الإثنيات الأخرى والتفاعل معها، وهي التي أسست مواقعها الثقافية في العالم الغربي منذ وقت طويل. لذلك فإنّني أحدد الخطاب الروائي العربي الأنجلوفوني استناداً إلى كل تلك الخصوصيات. يبني هؤلاء الكتّاب ويمثّلون جزئيا أو كليا انتماءهم العربي من خلال إنتاجهم الأدبي وفق ظروفهم الاجتماعية، والسياسية، والتاريخية، والثقافية. وتتداخل أعمالهم الروائية مع التراث العربي، و تمثّل جزئيا أو كليا قضايا المجتمع العربي والثقافة العربية. إذن، تدخل في خطاب الرواية العربية الأنجلوفونية، أولا، أعمال روائية تمثّل موضوعات المجتمع العربي والثقافة العربية وتمتّ بصلة إلى التراث العربي. ثانيا، أعمال روائية تمثل فقط قضايا المجتمع العربي والثقافة العربية. ثالثا، أعمال روائية تتعلق فقط بالتراث العربي. أما الأعمال الروائية التي لا تمثّل قضايا المجتمع العربي والثقافة العربية، ولا تمتّ بصلة إلى التراث العربي، فيصعب إلحاقها بذلك الخطاب.

المراجع

المراجع العربية

البازعي، سعد. **المكون اليهودي في الحضارة الغربية**. بيروت و الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧.

سعيد، إدوارد. **الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء**. ترجمة: كمال أبوديب. ١٩٨١، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩١.

سويف، أهداف "خارطة الكتابة: حوار مع أهداف سويف" حوار: سامية محرز. **ألف: مجلة الشعرية المقارنة**. العدد: ٢٠ (٢٠٠٠) ص ص ١٦٨-١٨٠.

هلال، محمد غنيمي. **الأدب المقارن**. ١٩٥٣، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.

المراجع الأجنبية :

Abdulqaffar, Muhammad Abdulrazzaq **"The Problematic of Identity in the Arab Novel Written in English"** Unpublished Dissertation. London: School of Oriental and African Studies, University of London, 2007.

Abu-Deeb, Kamal "Cultural Creation in a Fragmented Society" **The Next Arab Decade: Alternative Futures**, ed. Hisham Sharabi. Boulder, Colorado: Westview Press; London: Mansell, 1988. pp. 160-181.

Abu-Deeb, Kamal "The Collapse of Totalizing Discourse and the Rise of Marginalized/ Minority Discourses" in **Tradition, Modernity, and Postmodernity in Arabic Literature (Essays in Honour of Professor Issa J. Boullata)** ed. Kamal Abdel-Malak & Wael Hallaq. Leiden: Brill, 2000. pp. 335-366.

Al-Musawi, Muhsin Jassim. **The Postcolonial Arabic Novel: Debating Ambivalence**. Leiden:

Transition: Algeria 1900-1945. Oxford & New York: Clarendon Press, 1998.

El-Enany, Rasheed. Arab Representations of the Occident: East-West Encounters in Arabic Fiction. London: Routledge, 2006.

Erickson, John. **Islam and Postcolonial Narrative**. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.

Farah, Nuruddin **Maps**. London: Penguin, 1986.

Farah, Nuruddin "Nuruddin Farah: A Combination of Gifts" Interview with Maya Jaggi, **Third World Quarterly**, vol: 11, no: 3 (July 1989) pp. 170-187.

Ghali, Waguih. **Beer in the Snooker** Club.1964. London: Serpent's Tail, 1987.

Gikandi, Simon ed., **Encyclopedia of African Literature**. London & New York: Routledge, 2003.

Harrow, Kenneth W. ed., **The Marabout & the Muse: New Approaches to Islam in African Literature**. Portsmouth, New Hampshire: Heinemann; London: James Currey, 1996.

Hassan, Waïl S. "Postcolonial Theory and Modern Arabic Literature: Horizons of Application," **Journal of Arabic Literature** 33. 1 (2002): pp. 140-165.

Hawley, John C. ed. **Encyclopedia of Postcolonial Studies**. Westport, Connecticut, & London: Greenwood Press, 2001.

Kadhim, Hussein N. **The Poetics of Anti-Colonialism in the Arabic Qaṣīdah**. Leiden: E. J. Brill, 2004.

Kaye, Jacqueline & Zoubir, Abdelhamid. The Ambiguous Compromise: Language, Literature and National Identity in Algeria and Morocco. London: Routledge, 1990.

Lazarus, Neil ed. **The Cambridge Companion to Postcolonial Literary Studies**. Cambridge: Cambridge University Press, 2004.

Lionnet, Françoise & Scharfman, Ronnie ed., Post/Colonial Conditions: Exiles, Migrations and Nomadisms, special issue of **French Yale Studies**, vol: 1, no: 82 (1993).

Lionnet, Françoise & Scharfman, Ronnie ed. Post/Colonial Conditions: Exiles, Migrations and Nomadisms, special issue of **French Yale Studies**, vol: 2, no: 83 (1993) Special issue.

Loomba, Ania **Colonialism/Postcolonialism**. London & New York: Routledge, 1998.

Makdisi, Saree S. "The Empire Renarrated: Season of Migration to the North and the Reinvention of the E. J. Brill, 2003.

Al-Nowaihi, Magda M. "The "Middle East"? Or…/Arabic Literature and the Postcolonial Predicament." **A Companion to Postcolonial Studies**. ed. Henry Schwarz & Sangeeta Ray. Oxford: Blackwell, 2000. pp. 282-303.

Athill, Diana. **After a Funeral**. London: Granta, 2000.

Bensmaïa, Réda **Experimental Nations: Or, the Invention of the Maghreb**. Princeton & Oxford: Princeton University Press, 2003.

Benson, Eugene & Conolly, L. W. ed., **Encyclopedia of Post-colonial Literature in English**. London & New York: Routledge, 2005.

Bhabha, Homi K. **The Location of Culture**. New York & London: Routledge, 1994.

Bill, Aschroft, et al. The Empire Writes Back: Theory and Practice in Post-colonial Literature. London & New York: Routledge, 1989.

Bill, Aschcroft, et al ed., **The Post-Colonial Studies Reader**. London & New York: Routledge, 2006.

Bloom, Harold. **The Western Canon: The Books and School of the Ages**. New York: Riverhead, 1994.

Boehmer, Elleke ed. **Empire Writing**. Oxford & New York: Oxford University Press: 1998.

Cannadine, David **Ornamentalism: How the British Saw their Empire**. Oxford: Oxford University Press, 2001.

Castle, Gregory ed., **Postcolonial Discourses: An Anthology**. Malden, Massachusetts, & Oxford: Blackwell, 2001.

Childs, Peter ed. & introd., **Post-Colonial Theory and English Literature**. Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999.

Coyle, Martin et al ed., **Encyclopedia of Literature and Criticism**. London: Routledge, 1990.

Deleuze, Gills & Guattari, Fèlix. **Kafka: Toward a Minor Literature**, trans. Dana Polan. Vol: 30, Theory & History of Literature. Minneapolis & London: University of Minnesota Press, 1986.

Donadey, Anne **Recasting Postcolonialism: Women Writing between Worlds**. Portsmouth, New Hampshire: Heinemann, 2001.

Donohue, John J. & Tramontini, Leslie ed., Crosshatching in Global Culture: A Dictionary of Modern Arab Writers: An Updated English Version of R. B. Campbell's "Contemporary Arab Writers" Beirut: Ergon Verlag Würzburg, 2004.

Dunwoodie, Peter. **Francophone Writing in**

London: Routledge, 2006.

Pears, Pamela A. **Remnants of Empire in Algeria and Vietnam: Women, Words, and War**. Lanham: Lexington, 2004.

Said, Edward W. **Orientalism: Western Conceptions of the Orient**. 1978. Harmondsworth: Penguin, 1995.

Suleiman, Yasir & Muhawi, Ibrahim ed. **Literature and Nation in the Middle East**. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2006.

Walder, Dennis **Post-colonial Literature in English: History, Language, Theory**. Oxford: Blackwell 1998.

Wolfreys, Julian et al ed., **The Edinburgh Encyclopedia of Modern Criticism and Theory**. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2002.

Present" **Critical Inquiry**, vol: 18, no: 4 (Summer 1992) pp. 804-820.

Meisami, Julie Scott & Starkey, Paul ed., **Encyclopedia of Arabic Literature**. London: Routledge, 1998.

Messud, Claire **The Last Life**. London: Picador, 1999.

Mongia, Padmini ed. **Contemporary Postcolonial Theory: A Reader**. London: Arnold, 1996.

Moretti, Franco **Atlas of the European Novel: 1800-1900**. London & New York: Verso, 1999.

Nash, Geoffrey P. The Arab in English: Arab Themes in a Metropolitan Language, 1908-1958. Brighton & Oregon: Sussex Academic Press, 1998.

Omiri, Mohamed Salah. **Nationalism, Islam and World Literature**: **Sites of Confluence in the Writings of Mahmud al-Mas'adi**. New York &

The Anglo-Arab Novel: The Struggle for Identity and Discourse.

Muhammad Abdulrazzaq Abdulghaffar
Comparative literature & modern Arabic literature. Literary theory, narratology, postcolonial studies. The Department of Arabic & Islamic Studies, College of Arts, University of Bahrain.

(Received 15/3/1431H; accepted for publication 22/6/1431H.)

Abstracts. This study focuses on the Anglo-Arab novel, written by Arabs and Arabs of mixed ancestry. It investigates the problematic of its discourse, formulated in Western culture, and the ways in which it has been excluded from Western literary criticism and postcolonial studies, notwithstanding its connections to the writing of minorities that live in the West. Some important characteristics of the discourse are analyzed and the novelists' locations that are variably hybrid and complex are underscored. The boundaries of cultural identity that permeates such a discourse are characterized in relation with the ethnic and cultural particularities of the locations. Also, how the discourse is affiliated to Arab culture and the Arabic tradition is explored. To conceive of such affiliations, a perspective is proposed and elucidated through analyzing selected texts by the Egyptian novelist Waguih Ghali, the American Algerian novelist Claire Messud, and the Yemeni Zanzibarian novelist Abdulrazak Gurnah.